

مدينيات

موسوعة عمارة المسجد النبوي الشريف؛ مفخرة تستحق الإشادة

طالعتُ -مؤخرًا- موسوعةً علميةً قيّمة المضمون والجوهر، وفاخرة الشكل والمظهر، حول عمارة المسجد النبوي الشريف. وهي المجلد الأول، الحرف: (أ) الذي يحمل العنوان الشريف أعلاه، من إنجاز وإنتاج مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، وقام على إعداد هذا المجلد من مجلدات الموسوعة: أربعة وعشرون باحثًا وباحثة، تنوعت اختصاصاتهم العلمية، وتباينت أدوارهم الوظيفية في هذا المشروع، بإشراف مدير عام مركز البحوث والدراسات الأستاذ الدكتور فهد الوهبي.

وأحسبُ هذا المشروع العلمي الموسوعي الرائد من أجل الأعمال العلمية وأرفعها قدرًا وأبلغها أثرًا معرفيًا؛ لشرف موضوعه وجلال مضمونه، وهو يتمحور حول تاريخ معمار المسجد النبوي الشريف وتطوره منذ تأسيسه حتى الوقت الحاضر، وقد نحا إلى جانب واحد، واتخذ موضوعًا بعينه -من الموضوعات المرتبطة بالكيان المقدس: المسجد النبوي، الحقيق بالمركز إبلاؤها هذا الاهتمام المستحق- وهو تاريخ معماره الهندسي وعمارته الإنشائية عبر التاريخ، وقد قام العمل على استقاء المعلومات حول هذا الموضوع من المصادر التاريخية التراثية التي كان لها فضل تأسيس العناية بهذا الجانب، وتسجيل طبيعة العمارة ومساحاتها ومكوناتها وتوثيقها، في العصر الذي عاش فيه كل من أصحاب تلك المصادر ومؤلفيها، وكذلك كتب المحدثين التي تناولت الموضوع نفسه، وتتبع الموسوعة أشكال العمارة المسجدية النبوية خلال أطوار التاريخ، وربطها بالمشاهدات المباشرة لهيئتها الآنية، وتوضيح الأسس التي اتخذها التصميم المعماري للمسجد في كل مرحلة، وكشف أنماطه المعمارية وتحولاتها، وإيضاح القيم والخصائص الوظيفية والجمالية في هذا المعمار الفريد.

وسعى معدو الموسوعة إلى أن تكون مرجعًا أصيلًا في بابها، يضم ما كُتب حول عمارة المسجد الشريف من نصوص، وما سُجل ووُثق من شهادات ومشاهدات نصية، تكشف مظان الخصوصية المعمارية النادرة، والأساليب والمهارات الفنية والتقنيات المستخدمة طوال العصور السابقة، وصولًا للعمارة السعودية التي تفردت بأساليبها المبتكرة في البناء والإنشاء، والعناية بالجوانب الزخرفية الجمالية، وإفادتها من العمارات التاريخية، ومحافظتها على ركائزها الأساس، ودمجها بالرؤى المعمارية الحديثة بما يتماشى مع المكانة الروحية والدينية والثقافية للمكان.

واتضح في هذه الموسوعة المنهجية العلمية التي التزمها الباحثون؛ انطلاقًا من موضوعها المتخصص بالمفاهيم التصميمية، والجوانب المعمارية والإنشائية، والأساليب البنائية، دون التطرق إلى النواحي التاريخية والتراثية والحضارية، ومن المكونات المكملة للدقة الموضوعية في هذا العمل، وإحاطته بمفهوم الموسوعية، التي أسهمت في توضيح موضوعاتها وأقسامها، وتمكين القارئ من تصور تلك الموضوعات وإدراكها؛ المخططات الهندسية، والرسومات والصور التوثيقية -الافتراضية والحقيقية- التي جاء إخراجها بمستوى مبهر جذاب، يُغني الموضوعات ويثريها ويزيدها وضوحًا، ويمكّن القارئ من مطالعة الحقائق والأفكار والمعلومات النصية، وربطها بالصور والرسومات التي تُبينها.

إنَّ هذا العمل الموسوعي الرائد يعد مفخرةً تستحق الإشادة - كما أسلفت- لأهمية موضوعه وجلاله أولاً، ثم للهيئة التي ظهر بها، التي تُظهر وعي القائمين عليه بقيمة الموضوع وقيم المعرفة. فجزاهم الله الجزاء الأوفى.



د. محمد إبراهيم الديبسي

